وفى هذه الآية امتنَّ الحق سبحانه على عباده بثلاثة أمور : صيد السمك ، واستخراج الحُلىّ ، وسَيْر الفلك فى البحر ؛ ثم يعطف عليهم ما يمكن أن يستجدّ ؛ فيقول :

﴿ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ .. (١٤) ﴾ [النحل]

وكان البواخر وهى تشقّ الماء ويرى الإنسان الماءَ اللين ، وهو يحمل الجسم الصُّلْب للباخرة فيجد فيه متعة ، فضلاً عن أن هذه البواخر تحمل الإنسانَ من مكان إلى مكان .

ويُذيِّل الحق سبحانه الآية بقوله :

﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) ﴾ [النحل]

ولا يُقال ذلك إلا فى سَرْد نعمة آثارُها واضحة ملحوظة تستحقّ الشكر من العقل العادى والفطرة العادية ، وشاء سبحانه أنْ يتركَ الشُّكر للبشر على تلك النعم ، ولم يُسخرهم شاكرين .

ويقول سبحانه من بعد ذلك :

﴿ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ[1] بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) ﴾

وهكذا يدلُّنا الحق سبحانه على أن الأرض قد خُلقت على مراحل ، ويشرح ذلك قوله سبحانه :

(١) ماد يميد : تحرك واهتز . ومادت الأرض : اضطربت وزلزلت . قال تعالى : ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ..(١٠) ﴾ [لقمان] لئلا تميل وتضطرب فالجبال العالية توازن البحار العميقة . [القاموس القويم ٢/٢٤٦] .

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا[1] ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا[2] فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠)﴾ [فصلت]

وهكذا علمنا أن جِرْم الأرض العام قد خُلق أولاً ؛ وهو مخلوق على هيئة الحركة ؛ ولأن الحركة هي التي تأتي بالمَيدان ـ التأرجُح يميناً وشمالاً ـ وعدم استقرار الجِرْم على وَضْع ، لذلك شاء سبحانه أن يخلق في الأرض الرواسي لتجعلها تبدو ثابتة غير مُقلقة ، والرَّاسي هو الذي يُثبت .

ولو كانت الأرض مخلوقة على هيئة الاستقرار لما خلق الله الجبال ، ولكنه خلقَ الأرض على هيئة الحركة ، ومنع أنْ تميدَ بخَلْق الجبال ليجعلَ الجبال رواسيَ للأرض .

وفي آية أخرى يقول سبحانه :

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ .. (٨٨)﴾ [النمل]

وكلمة ﴿ أَلْقَى ﴾ تدلُّ على أن الجبال شيء متماسك وُضِع ليستقر .

ثم يعطف سبحانه على الجبال :

﴿وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً .. (١٥)﴾ [النحل]

(١) الأنداد : جمع ندّ . وهو الضد والشبيه . ويريد بها ما كانوا يتخذونه آلهة من دون الله . [لسان العرب ـ مادة : ندد] .

(٢) الأقوات جمع قوت ، وهو الرزق . قال ابن كثير في تفسيره (٩٣/٤) : « هو ما يحتاج إليه من الأرزاق والأماكن التي تزرع وتغرس » .

ولم يَأْتِ الحق سبحانه بفعل يناسب الأنهار ، ومن العجيب أن الأسلوب يجمع جماداً فى الجبال ، وسيولة فى الأنهار ، وسبلاً أى طرقاً ، وكُلُّ ذلك :

﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [النحل]

أى : أن الجَعْل كلَّه لعلنا نهتدى .

ونعلم أن العرب كانوا يهتدون بالجبال ، ويجعلون منها علامات ، والمثل هو جبل « هرشا » الذى يقول فيه الشاعر :

خُذُوا بَطْن هرشا أو قَفَاهَا فإنَّهُ   كِلاَ جَانبِى هرشا لَهُنَّ طَرِيقُ

وأيضاً جبل التوباد كان يُعتبر علامة .

وكذلك قَوْل الحق سبحانه :

﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ .. ﴿٥٢﴾ ﴾ [مريم]

وهكذا نجد من ضمن فوائد الجبال أنها علاماتٌ نهتدى بها إلى الطرق وإلى الأماكن ، وتلك من المهام الجانبية للجبال .

أو :

﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [النحل]

باتعاظكم بالأشياء المخلوقة لكم ، كى تهتدوا لِمَنْ أوجدها لكم .

ويقول الحق سبحانه من بعد ذلك :

﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

أى : أن ما تقدم من خَلْق الله هو علامات تدلُّ على ضرورة أنْ تروا المنافع التى أودعها الله فيما خلق لكم ؛ وتهتدوا إلى الإيمان بإله موجِد لهذه الأشياء لصالحكم .

وما سبق من علامات مَقَرُّه الأرض ، سواء الجبال أو الأنهار أو السُّبل ؛ وأضاف الحق سبحانه لها فى هذه الآية علامةً توجد فى السماء ، وهى النجوم .

ونعلم أن كلَّ مَنْ يسير فى البحر إنما يهتدى بالنجم . وتكلم عنها الحق سبحانه هنا كتسخير مُخْتص ؛ ولم يُدخلها فى التسخيرات المتعددة ؛ ولأن نجماً يقود لنجم آخر ، وهناك نجوم لم يصلنا ضوؤها بعد ، ونتنفع بآثارها من خلال غيرها[1] .

ونعلم أن قريشاً كانت لها رحلتان فى العام : رحلة الشتاء ، ورحلة الصيف . وكانت تسلك سبلاً متعددة ، فتهتدى بالنجوم فى طريقها ، ولذلك لابد أن يكون عندها خبرة بمواقع النجوم .

ويقول الحق سبحانه :

﴿ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) ﴾ [النحل]

---

(١) قال القرطبى فى تفسيره (٥/٣٨١٦) : « قال ابن العربى : أما جميع النجوم فلا يهتدى بها إلا العارف بمطالعها ومغاربها ، والفرق بين الجنوبى والشمالى منها ، وذلك قليل فى الآخرين . وأما الثريا فلا يهتدى بها إلا من يهتدى بجميع النجوم . وإنما الهدى لكل أحد بالجَدْى والفرقدين ، لأنهما من النجوم المنحصرة المطالع الظاهرة السمت الثابتة فى المكان . فإنها تدور على القطب الثابت دوراناً محصلاً ، فهى أبداً هُدَىُ الخلق فى البر إذا عميت الطرق ، وفى البحر عند مجرى السفن ، وفى القبلة إذا جُهل السَّمْت ، وذلك على الجملة بأن تجعل القطب على ظهر منكبك الأيسر فما استقبلت فهو سَمْت الجهة » .

قد فضَّل الحق هذا الأسلوب من بين ثلاثة أساليب يمكن أنْ تُؤدى المعنى ؛ هى : « يهتدون بالنجم » و « بالنجم يهتدون » والثالث : هو الذى استخدمه الحق فقال :

﴿ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [النحل]

وذلك تأكيد على خبرة قريش بمواقع النجوم ؛ لأنها تسافر كل عام رحلتين ، ولم يكن هناك آخرون يملكون تلك الخبرة .

والضمير « هم » جاء ليعطى خصوصيتين ؛ الأولى : أنهم يهتدون بالنجم لا بغيره ؛ والثانية : أن قريشاً تهتدى بالنجم ، بينما غيرُها من القبائل لا تستطيع أن تهتدى به .

ويقول الحق سبحانه من بعد ذلك :

﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

ونعلم أن الكلام الذى يلقيه المتكلم للسامع يأخذ صوراً متعددة ؛ فمرَّة يأخذ صورة الخبر ، كأن يقول : مَنْ لا يخلق ليس كَمْن يخلق . وهذا كلام خبرىّ ، يصح أنْ تُصدّقه ، ويصحّ ألاّ تُصدّقه .

أما إذا أراد المتكلم أن يأتى منك أنت التصديق ، ويجعلك تنطق به ؛ فهو يأتى لك بصيغة سؤال ، لا تستطيع إلا أنْ تجيبَ عليه بالتأكيد لِمَا يرغبه المتكلِّم .

ونعلم أن قريشاً كانت تعبد الأصنام ؛ وجعلوها آلهة ؛ وهى لم تكلمهم ، ولم تُنزل منهجاً ، وقالوا ما أورده الحق سبحانه على ألسنتهم :

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى[1] .. ③﴾ [الزمر]

فلماذا إذن لا يعبدون الله مباشرة دون وساطة ؟ ولماذا لا يرفعون عن أنفسهم مشقة العبادة ، ويتجهون إلى الله مباشرة ؟

ثم لنسأل : ما هى العبادة ؟

نعلم أن العبادة تعنى الطاعة فى « افعل » و « لا تفعل » التى تصدر من المعبود . وبطبيعة الحال لا توجد أوامر أو تكاليف من الأصنام لِمَنْ يعبدونها ، فهى معبودات بلا منهج ، وبلا جزاء لِمَن خالف ، وبلا ثواب لِمَنْ أطاع ، وبالتالى لا تصلح تلك الأصنام للعبادة .

ولنناقش المسألة من زاوية أخرى ، لقد أوضح الحق سبحانه أنه هو الذى خلق السماوات والأرض ، والليل والنهار ، والشمس والقمر ، وسخر كل الكائنات لخدمة الإنسان الذى أوكل إليه مهمة خلافته فى الأرض[2] .

وكلُّ تلك الأمور لا يدعيها أحد غير الله ، بل إنك إنْ سألتَ الكفار والمشركين عمَّن خلقهم ليقولن الله .

قال الحق سبحانه :

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ .. ⑧⑦﴾ [الزخرف]

---

(١) الزلفى : القرب والمنزلة والدرجة . زلف إليه : قرب ودنا . [القاموس القويم ٢٨٨/١] . والمعنى كما قاله قتادة والسدى : أى ليشفعوا لنا ويقربونا عنده منزلة ولهذا كانوا يقولون فى تلبيتهم إذا حجوا فى جاهليتهم : لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك . نقله ابن كثير فى تفسيره (٤/٤٥) .

(٢) قال تعالى فى قرآنه : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً .. ③⓪﴾ [البقرة] .

ذلك أن عملية الإيجاد والخَلْق لا يجرؤ أحدٌ أنْ يدَّعيها إنْ لم يكُنْ هو الذى أبدعها ، وحين تسألهم : مَنْ خلق السماوات والأرض لقالوا : إنه الله[1] .

وقد أبلغهم محمد ﷺ أن الله هو الذى خلق السماوات والأرض ، وأن منهجه لإدارة الكون يبدأ من عبادته سبحانه .

وما دام قد ادَّعى الحق سبحانه ذلك ، ولم يوجد مَنْ ينازعه ؛ فالدعوة تثبُت له إلى أنْ يوجد معارض ، ولم يوجد هذا المُعَارض أبداً .

وهنا فى الآية التى نحن بصدد خواطرنا عنها ؛ لم يَقُل الحق سبحانه « اتجعلون مَنْ لا يخلق مِثْل من يخلق » . بل قال :

﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل]

ووراء ذلك حكمة ؛ فهؤلاء الذين نزل إليهم الحديث تعاملوا مع الأصنام وكأنها الله ؛ وتوهَّموا أن الله مخلوق مثل تلك الأصنام ؛ ولذلك جاء القول الذى يناسب هذا التصوُّر .

والحق سبحانه يريد أنْ يبطل هذا التصوُّر من الأساس ؛ فأوضح أن مَنْ تعبدونهم هم أصنام من الحجارة وهى مادة ولها صورة ، وأنتم صنعتموها على حَسْب تصوُّركم وقدراتكم .

وفى هذه الحالة يكون المعبود أقلَّ درجةً من العابد وأدنى منه ؛ فضلاً عن أن تلك الأصنام لا تملك لِمَنْ يعبدها ضراً ولا نفعاً .

(١) قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ .. ﴿٦١﴾ ﴾ [العنكبوت]

ثم : لماذا تدعون الله إنْ مسَّكم ضُرٌّ ؟

إن الإنسان يدعو الله في موقف الضر ؛ لأنه لحظتها لا يجرؤ على خداع نفسه ، أما الآلهة التي صنعوها وعبدوها فهي لا تسمع الدعاء :

﴿إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤)﴾ [فاطر]

فكيف إذن تساوون بين مَنْ لا يخلق ، ومن يخلق ؟ إن عليكم أنْ تتذكروا ، وأنْ تتفكَّروا ، وأن تُعْملوا عقولكم فيما ينفعكم .

ويقول الحق سبحانه من بعد ذلك :

﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا (١) إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨)﴾

وهذه الآية سبقتْ في سورة إبراهيم ؛ فقال الحق سبحانه هناك :

﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤)﴾ [إبراهيم]

وكان الحديث في مجال مَنْ لم يعطوا الألوهية الخالقة ، والربوبية الموجِدة ، والمُمِدَّة حقَّها ، وجحدوا كل ذلك . ونفس الموقف هنا حديث عن نفس القوم ، فيُوضِّح الحق سبحانه :

---

(١) لا تحصوها : لا تطيقوا عدّها ، ولا تقوموا بحصرها لكثرتها ، كالسمع والبصر وتقويم الصور إلى غير ذلك من العافية والرزق . [قاله القرطبي في تفسيره ٥/٣٧٠٥] .

أنتم لو استعرضتم نِعَم الله فلن تحصوها ، ذلك أن المعدود دائماً يكون مكرر الأفراد ؛ ولكن النعمة الواحدة فى نظرك تشتمل على نِعَم لا تُحصَى ولا تُعَد ؛ فما بالك بالنِّعم مجتمعة ؟

أو : أن الحق سبحانه لا يمتنُّ إلا بشيء واحد ، هو أنه قد جاء لكم بنعمة ، وتلك النعمة أفرادها كثير جداً .

ويُنهى الحق سبحانه الآية بقوله :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل]

أى : أنكم رغم كُفْركم سيزيدكم من النعم ، ويعطيكم من مناط الرحمة ، فمنكم الظلم ، ومن الله الغفران ، ومنكم الكفر ومن الله الرحمة .

وكأنَّ تذييل الآية هنا يرتبط بتذييل الآية التى فى سورة إبراهيم حيث قال هناك :

﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم]

فهو سبحانه غفور لجحدكم ونُكْرانكم لجميل الله ، وهو رحيم ، فيوالى عليكم النِّعَم رغم أنكم ظالمون وكافرون .

ويقول الحق سبحانه من بعد ذلك :

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

والسِّر - كما نعلم - هو ما حبَسْته فى نفسك ، أو ما أسررْتَ به لغيرك ، وطلبتَ منه ألاَّ يُعلِمه لأحد . والحق سبحانه يعلم السِّر ، بل يعلم ما هو أخْفَى فهو القائل :

﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۝ ﴾ [طه]

أى : أنه يعلم ما نُسره فى أنفسنا ، ويعلم أيضاً ما يمكن أن يكون سِراً قبل أن نُسِرَّه فى أنفسنا ، وهو سبحانه لا يعلم السِّر فقط ؛ بل يعلم العلَن أيضاً .

ويقول الحق سبحانه من بعد ذلك :

﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝٢٠ ﴾

أى : أنهم لا يستطيعون أنْ يخلقوا شيئاً ؛ بل هم يُخْلقون ، والأصنام كما قُلْنا من قبل هى أدنى ممَّنْ يخلقونها ، فكيف يستوى أنْ يكونَ المعبود أدْنَى من العابد ؟ وذلك تسفيهٌ لعبادتهم .

ولذلك يقول الحق سبحانه على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام لحظةَ أنْ حطَّم الأصنام ، وسأله أهله : مَنْ فعل ذلك بآلهتنا ؟ وأجاب :

﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا .. ۝٦٣ ﴾ [الأنبياء]

فقالوا له : إن الكبير مجرَّد صنم ، وأنت تعلم أنه لا يقدر على شىء .

ونجد القرآن يقول لأمثال هؤلاء :

﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ[١] (٩٥) ﴾ [الصافات]

فهذه الآلهة ـ إذن ـ لا تخلق بل تُخلق ، لكن الله هو خالق كل شيء ، وسبحانه القائل :

﴿ يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) ﴾ [الحج]

ويذكر الحق سبحانه من بعد ذلك أوصاف تلك الأصنام :

﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢١) ﴾

وهم بالفعل أموات ؛ لأنهم بلا حسٍّ ولا حركة ، وقوله :

﴿ غَيْرُ أَحْيَاءٍ .. (٢١) ﴾ [النحل]

تفيد أنه لم تكُنْ لهم حياة من قَبْل ، ولم تثبت لهم الحياة في دورة من دورات الماضي أو الحاضر أو المستقبل .

وهكذا تكتمل أوصاف تلك الأصنام ، فهم لا يخلقون شيئاً ، بل هم مخلوقون بواسطة مَنْ نحتُوهم ، وتلك الأصنام والأوثان لن تكون لها حياة في الآخرة ، بل ستكون وَقُوداً للنار .

---

(١) نحته : براه واقتطع منه أجزاء ، ويكون ذلك في الأشياء الصلبة كالحجر والخشب . [القاموس القويم ٢/ ٢٥٥] .

والحق سبحانه هو القائل :

﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ[1] وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢)﴾ [الصافات]

وبطبيعة الحال لن تشعرَ تلك الحجارةُ ببعْث مَنْ عبدوها .

ويُصفِّي الحق سبحانه من بعد ذلك المسألة العقدية ، فيقول :

﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ[2] وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (٢٢)﴾

وقَوْله الحق :

﴿إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ .. (٢٢)﴾ [النحل]

تمنع أنْ يكونَ هناك أفراد غـيره مثله ، وقد يتصـوَّر البعض أنها تُساوى كلمة « أحد » . وأقـول : إن كلمة « أحد » هى منع أن يكونَ له أجزاء ؛ فهو مُنزَّه عن التَّكْرار أو التجزىء .

وفى هذا القول طَمْـأنةٌ للمؤمنين بأنهم قد وصلوا إلى قِمَّـة الفهم والاعتقاد بأن الله واحد .

أو : هو يُوضِّح للكافرين أن الله واحدٌ رغم أنوفكـم ، وستعودون

---

(١) أزواجهم : نظراءهم وأضرابهم وقرناءهم . [لسان العرب - مادة : زوج] . « قـال عمر ابن الخطاب : أزواجهم : أشباههم يجىء أصحـاب الزنا مع أصحاب الزنا ، وأصحـاب الربا مع أصحـاب الربا ، وأصحـاب الخمـر مع أصحاب الخمـر » . نقله ابن كـثيـر فى تفسـيره (٤/٤) .

(٢) قال القرطبى فى تفسيره (٥/٣٨١٩) : « أى : لا تقبل الوعظ ، ولا ينجع فيها الذكر » .

إليه غَضْباً ، وبهذا القول يكشف الحق سبحانه عن الفطرة الموجودة فى النفس البشرية التى شهدتْ فى عالم الذَّرِّ أن الله واحد لا شريك له ، وأن القيامة والبعث حَقٌّ .

ولكن الذين لا يؤمنون بالله وبالآخرة هم مَنْ ستروا عن أنفسهم فطرتهم ، فكلمة الكفر كما سبق أنْ قلنا هى ستر يقتضى مستوراً ، والكفر يستر إيمانَ الفطرة الأولى .

والذين يُنكرون الآخرة إنما يَحْرِمون أنفسهم من تصوُّر ما سوف يحدث حَتْماً ؛ وهو الحساب الذى سيجازى بالثواب والحسنات على الأفعال الطيبة ، ولعل سيئاتهم تكون قليلة ؛ فيجبُرها الحق سبحانه لهم وينالون الجنة .

والمُسْرِفون على أنفسهم ؛ يأملون أن تكون قضيةُ الدين كاذبة ، لأنهم يريدون أن يبتعدوا عن تصوُّر الحساب ، ويتمنَّوْنَ ألاَّ يوجدَ حساب .

ويَصِفُهم الحق سبحانه :

﴿ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النحل]

أى : أنهم لا يكتفُون بإنكار الآخرة فقط ؛ بل يتعاظمون بدون وجه للعظمة .

و « استكبر » أى : نصَّب من نفسه كبيراً دون أنْ يملكَ مُقوِّمات الكبر ، ذلك أن « الكبير » يجب أن يستندَ لِمُقوِّمات الكِبَر ؛ ويضمن لنفسه أنْ تظلَّ تلك المُقوِّمات ذاتيةً فيه .

ولكنّا نحن البشر أبناءُ أغيار ؛ لذلك لا يصحُّ لنا أنْ نتكبَّر ؛